علَل غَيْبة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف
مُقاربة قرآنية مع قصة موسى عليه السلام وبني إسرائيل

◆ د. أحمد ذهيب حسين[1]

■ **خلاصة**

تُعدُّ قضية غَيبة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، الإمام الثاني عشر من أئمة أهل البيت عليهم السلام، من القضايا الإشكالية التي وقع حولها الاختلاف بين المسلمين.

في هذه الدراسة، مُحاولة لتسليط الضوء على هذه القضية، للتعرُّف على أسبابها وعِلَلها وفلسفتها، وهل هي سُنّة من سُنن الوجود؟ كلُّ ذلك، من خلال مقارنة هذه الغَيبة للإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف بغيبة نبي الله موسى عليه السلام، والتي تُعتبر غَيبة مُختصرة عن غيبة الإمام، ومن خلال هذه المقارنة، والتأمل في القصص القرآني التي تحدثت عن غَيبة عدد من الأنبياء عن أقوامهم، يُمكن استنتاج الدروس واستلهام العبر. وبالتّالي، التعرُّف على الثّمار التي جناها هؤلاء الأقوام - ومن بينهم بنوا إسرائيل-، من غيبة أنبيائهم، للتفكُّر في مآلاتها، وكيفية التعامل مع غيبة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف اليوم، بما يُفيد البشرية المُنتظرة للمُخلِّص العالمي..

الكلمات المفتاحية:

الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف- الغَيبة – الانتظار – موسى عليه السلام – بنو إسرائيل..

1 - مُختص بالدراسات القرآنية – العراق.

المقدمة

ثمَّة قاعدة أساسية في الحياة، وهي أنه لا بدّ للإنسان بعد حياته أن يأتيه الموت، مهما تقدّم به العمر، وقد تُخرق هذه القاعدة أحيانًا، لكن الأصل يبقى ثابتًا، فقد تحدثت بعض الأخبار والروايات مثلاً عن أشخاص كالخضر عليه السلام وعيسى عليه السلام، بالإضافة إلى الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، قد استمروا في الحياة ولم يُدركهم الموت حتى هذه الساعة.

لكن هذا الخرق لهذه القاعدة، لم يأْتِ اعتباطًا، وإنّما لغايات وعِلل انكشف جزءٌ منها وبقيت أجزاء أخرى مخفية، سنُحاول في هذا البحث الوقوف عندها، مع التركيز على غَيبة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف ومقاربة هذه الغَيبة وعلّتها مع ما وقع لنبي الله موسى عليه السلام وبني اسرائيل، فقد كانت غيبة موسى عليه السلام عن قومه تجربة متقدمة، ولنقُل مُختصرة ومختزلة لغيبة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف. لذلك، سندرس هذه الغَيبة كي نتلمَّس الدروس منها، ونَستلهم العِبر التي حملتها، ومن ثمّ نجني ثمار هذه القصة التي نقلها لنا القرآن بشكل مُفصل، بحيث شغلت قسمًا كبيراً منه.

وهذا ما يدعونا إلى أن نقف عندها ونتأملها ونجعلها نصب أعْيُننا حينما ننتظر صاحبنا(المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف)، كي نتجاوز العقبات والاخطاء التي وقع فيها القوم قبلنا، ونُعجّل بظهوره الشريف. كما سيُحاول البحث القيام بمُقارنة بين الغيبتين، غَيبة نبي الله موسى عليه السلام وغيبة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف. وذلك من خلال مقدمة ومجموعة من المطالب.

أولاً : الانتظار سُنة أنطولوجية:

يعيش الإنسان على الأمل، ويستلهم منه وجوده ويحافظ على دوره في الحياة ، يقول الشاعر:

أُعلّل النّفس بالآمال أرقيها ما أضيق العيش لولا فُسحة الأمل[1].

إنّنا نرى كيف أنّ الانسان يقضي يومه كيفما كان، وهو ينتظر الغد، الذي يعتقد أو يحلم أنه سيكون أفضل من الأمس، وهكذا هي سُنة الكمال عند الانسان، وهو يحلم بالقادم، ويتحمّل المصاعب والمشاق، ولا يخيب ظنه بخالقه، عسى أن يُحقّق له أمنياته مهما كانت مستحيلة، ويتجسّد الأمل لدى الإنسان الأول في قصة النبي آدم عليه السلام، حينما خرج من الجنّة، فقد كان لديه إيمان ويقين بأنّ خالقه سيغفر له ويُسامحه على عدم الامتثال لأوامره، وتأتي هذه الثقة لأنه كان ينتظر الفرج بعد الشدّة والانفراج بعد الضيق قال تعالى: ﴿**فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**﴾[البقرة:37]، ويرى أحد الباحثين أنَّ "التعبير بالتلقي يُؤكّد على هذا الانتظار من قبل آدم عليه السلام لتلك الكلمات"[2]. ويمرُّ الزمن، ويصل الأمر إلى نبي الله يعقوب عليه السلام حينما غُيِّب يوسف عليه السلام عنه فما كان منه إلا أن تحلّى بالصّبر قائلا: ﴿**فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ**﴾[يوسف:18]، وتتكرر محنته، ويفقد ابنه الآخر، فيستعين بالصّبر أيضًا: ﴿**فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا**﴾[يوسف:83]، وهو بذلك يمُنّي نفسه بعودتهما ولقائهما، وقد حقّق الله له ذلك: ﴿**فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ**﴾[يوسف: 96].

ويستقرُّ بنو إسرائيل في مصر، فيخبرهم يوسف عليه السلام أنهم سوف يُعانون من اضطهاد حكام هذه الأرض بعده، وستضيق عليهم مصر إلى أن يأتي من أبناء لاوي من يُخلّصهم من هذا العذاب، فيعيش بنو إسرائيل على هذا الأمل في الخلاص من فرعون وأعوانه، على يد نبيهم موسى عليه السلام.

ويصل الدور إلى نبينا محمد صلى الله عليه وآله، الذي اعتزل المجتمع المكي الذي كان غارقًا في الشرك

1 - الطغرائي، ديوان الطغرائي، ص 306.
2 - العاملي، براءة آدم حقيقة قرآنية، ص 116.

وعبادة الأصنام والمفاسد الأخلاقية. وتفرغ للعبادة والتفكر في الملكوت، على رأس جبل في غار حراء، لقد كان النبي ﷺ ينتظر الفرج، أي انتظار نزول الوحي والتكليف بالنبوة، لينذر قومه ويدعوهم للتوحيد ونبذ عبادة الأصنام، وهذا ما وقع.

الخلاصة، إنّ انتظار الفرج والتغيير إلى الأحسن، ليس جديدًا على الساحة الدينية، بل وجدنا له شواهد كثيرة في التاريخ، وقد اقتصرنا على الإشارة إلى أمثلة خاصة، لنُدلِّل بها على أنّ الانتظار هو من السُّنن التي جرت على أقوام وأُمم سبقتنا، وما علينا إلا أن نعمل وفق ما أراده خالقنا منّا، بالسير على هذه السُّنن والاستفادة منها، كي نُحقق ما ننشده، ونصل إلى أهدافنا السامية التي اختطها -سبحانه- لنا.

ثانيًا: عقيدة الغَيبة بين التاريخ والفكر الاسلامي

1 - عقيدة الغَيبة في التاريخ:

تعتقد كثيرٌ من الشعوب بفكرة الانتظار، بل إنّ انتظار الخلاص أصبح اليوم من الهواجس التي تعيشها شعوب الأرض، فهذه الفكرة من عقائد أهل الأديان السماوية، كما اعتنقتها مُعظم شعوب الأرض، لذلك، فالإيمان بحتمية ظهور مخلص أو مصلح العالمي لإقامة دولة العدل الإلهي في كلِّ الارض من نقاط الاشتراك البارزة في جميع الأديان[1]، أما "الاختلاف فيما بينها فهو في تحديد هوية هذا المصلح الديني العالمي الذي يحقق جميع أهداف الأنبياء عليهم السلام"[2].

يرى السيد محمد باقر الصدر أنّ المهدي كعقيدة عند المسلمين وفكرة عند غيرهم، ليس تجسيدًا لعقيدة إسلامية فحسب، إنّما هو "عنوان لطموح اتّجهت إليه البشرية بمختلف أديانها ومذاهبها، وصياغة الإلهام الفطري، أدرك الناس من خلاله – على الرغم من تنوع عقائدهم

1 - ينظر: زين الدين، مع الدكتور أحمد أمين في حديث المهدي والمهدوية، ص 13.

2 - محمود، مجلة الفكر الاسلامي، العددان (18 - 19)، السنة الخامسة – ربيع الثاني – رمضان 1418هـ بحث بعنوان: على هامش بشارات الأديان بالمهدي الإمامي، ص 241.

ووسائلهم إلى الغيب – أنّ للإنسانية يومًا موعودًا على الأرض، تحقق فيه رسالات السماء بمغزاها الكبير وهدفها النهائي"[1]. وقد استعرض السيد محمد مهدي خان في الأبواب الستّة الأولى من كتابه "مفتاح باب الأبواب"، آراء الأديان الستّة المعروفة بشأن ظُهور النبي الخاتم، ثم بشأن المُصلح العالمي المنتظر، وبيَّن أنّ كلَّ دين منها بشَّر بمجيء هذا المصلح الإلهي في المستقبل أو في آخر الزمان، ليُصلح العالم ويُنهي الظُّلم والشَّر ويحقّق السعادة المنشودة للمجتمع البشري[2]. وقد أصبح هذا الاعتقاد راسخًا ومُتجذرًا عند المسلمين وغيرهم، فلو تتبعنا الأديان والمعتقدات لدى شعوب الأرض، لوجدنا أنهم يشتركون في هذه الفكرة (عقيدة وتديُّنا)، أي تُوجب عليهم الايمان والانتظار والعمل من أجل تسريع وتعجيل الظهور لهذا المصلح الكبير كي يملأ الأرض عدلا بعدما مُلئت ظلمًا وجَوْرًا.

وبنظرة سريعة، نُلاحظ أنّ عقيدة الانتظار "آمن اليهود بها، كما آمن النصارى بعودة عيسى عليه السلام، وصدّق بها الزرادشتيون، بانتظارهم عودة بهرام شاه، واعتنقها مسيحيو الأحباش بترقُّبهم عودة ملكهم تيودور كمهدي في آخر الزمان، وكذلك الهنود اعتقدوا بعودة فيشنو، ومثلهم المجوس إزاء ما يعتقدونه من حياة أوشيدر. وهكذا نجد البوذيين ينتظرون ظهور بوذا من جديد، كما ينتظر الإسبان ملكهم روذريق، والمغول قائدهم جنكيز خان. وقد وُجد هذا المعتقد عند قدامى المصريين، كما وُجد في القديم من كتب الصينيين"[3].

والأمر ينجرُّ إلى أتباع النبي الخاتم، محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله، الذين اعتقدوا اعتقادًا جازمًا بفكرة المهدي الموعود فـ "الإيمان بظهور المهدي مبدأ من المبادئ الرئيسية في التشيع، ويجب أن نُضيف إلى ذلك استكمالا لبحثنا، أنّ أهل السُّنة أنفسهم يعتقدون بمجيء مُصلح إلى العالم في آخر الزمان يبعث الله به، ويُسمّونه أيضًا بالإمام المهدي، أي الذي هداه الله إلى الطريق

1 - الصدر، بحث حول المهدي، 7.

2 - المرعشي النجفي، ملحقات إحقاق الحق، ج 29، ص 621-622.

3 - العميدي، المهدي المنتظر في الفكر الاسلامي، 12- 13، نقلا عن : حسن، المهدية في الاسلام: منذ أقدم العصور حتى اليوم: دراسة في التاريخ العقدي والسياسي والأدبي، ص 43-44.

السوي"[1]، ويُعتبر الشيعة بأنّهم أكثر المذاهب أو الطوائف اعتقادًا وانتظارًا وترقبًا للإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، فهُم يُؤمنون بغيبته، ويعتقدون أنهم أنصاره وأعوانه والسائرون على مذهبه حتى ظهوره الشريف، وهم أيضا أكثر المدافعين عن فكرته، لذلك، تراهم يُشيعونها في مجالسهم سرًّا وعلانية، ويتعبّدون بهذه العقيدة قربة لله تعالى، بل هي من أهم العقائد عندهم، لارتباطها بعقيدة الإمامة، التي هي أصلا من أصول الدّين عندهم. وبهذا، يتبيّن أنّ فكرة المُخلص هي من الأفكار الثابتة والمُترسخة في عقائد الناس، رغم اختلاف صيغتها بين عقيدة وأخرى، إلا أنّ النتيجة واحدة، والمُحصِّلة تصبُّ في الغرض نفسه وهو أنه لابدّ من مجيء مخلص في آخر الزمان، يقضي على الظلم والفساد، وينشر العدل والمساواة بين الناس، ويُحقق لهم ما كانوا يحلمون به.

2 - عقيدة الغَيبة في الفكر الإسلامي:

للبحث عن أيّ فكرة ما أو عقيدة مُعينة، يجب على الباحث أوّلا أن يتتبّع هذه الفكرة والعقيدة في المصادر المتقدمة أو النصوص التأسيسية لهذه العقيدة والبيئة التي انبثقت عنها، لذلك، سنحاول البحث عن هذه العقيدة في القرآن الكريم والسُّنة النبوية بدرجة أخص، لأنّ هذه الفكرة كانت ممّا توافق عليه المسلمون بمختلف طوائفهم، وهي مُنتشرة كثيرًا في تراثهم الديني، بل إنّها نشأت وترعرعت في البيئة الإسلامية بشكل أساسي، كما لم تخلو كتب التراث سواء الكتب العقائدية أو كتب الحديث من مباحث تتعلق بها أو تتحدث عنها.

أ- عقيدة الغَيبة من القرآن:

إنَّ عقيدة المسلمين بمجيء مهدي آخر الزمان، هي من العقائد المتواترة والمُتّفق عليها بين الشيعة وأهل السُّنة، وقد أيّد القرآن هذا المُعتقد بمجموعة من الآيات التي يُفهم منها التبشير بظهوره في آخر الزمان[2]. فهناك مجموعة من الآيات القرآنية التي استدلّ بها المسلمون على عقيدة المهدي المنتظر، نذكر منها:

1 - جولدتسيهر، العقيدة والشريعة في الإسلام، تاريخ التطور العقّدي والتشريعي في الدين الإسلامي، ص217.
2 - ينظر: العميدي، المهدي المنتظر في الفكر الاسلامي، ص 27 وما بعدها.

* قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾[التوبة: 33]. قال القرطبي: " وقال السدّي: ذاك عند خروج المهدي، لا يبقى أحد إلا دخل الإسلام" [3].

* وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾[سبأ:51]، حيث رُويت أحاديث في تفسير هذه الآية وأنّ المقصود بها التبشير بالمهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، فقد قال الطبرسي في مجمع البيان: "أورده الثعلبي في تفسيره، وروى أصحابنا في أحاديث المهدي عن أبي عبد الله عليه السلام وأبي جعفر عليه السلام" [4]، وما أخرجه الطبري في تفسيره والزمخشري في كشافه عن ابن عباس[5].

* وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾[الزخرف:61]، فقد صرّح البغوي في التفسير، والزمخشري في كشافه، والرازي، والقرطبي، وأبو حيان، وابن كثير، وأبو السعود، والهيثمي، أنّ هذه الآية بخصوص نُزول عيسى عليه السلام في أخر الزمان[6]، ولا خلاف بين هؤلاء المفسرين أنّ نُزول عيسى عليه السلام مقرونًا بظُهور المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف[7].

* وقوله تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِى الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾[القصص: 5]، سيأتي تفسير هذه الآية وما قاله العلماء والمحدثون، في المطلب اللاحق بشكل تفصيلي.

3 - القرطبي، تفسير القرطبي ، ج8، ص 128، وينظر: الرازي، التفسير الكبير، ج16 ص 40، الطبرسي، مجمع البيان، ج5، ص35.

4 - الطبرسي، مجمع البيان، ج4، ص498.

5 - ينظر: الطبري، تفسير الطبري، ج 22، ص72، والزمخشري، الكشاف، ج3، ص 476-468.

6 - ينظر: البغوي، معالم التنزيل،ج 4، ص444، والزمخشري، الكشاف، ج 4، ص26، الرازي، التفسير الكبير، ج27، ص 222، القرطبي، تفسير القرطبي، ج 1، ص 105، أبو حيان، البحر المحيط، ج8، ص 25، ابن كثير، تفسير ابن كثير، ج4، ص 142، أبي السعود، التفسير، ج8، ص 52، الهيثمي، موارد الضمأن : ح1758.

7 - ينظر: العميدي، المهدي المنتظر في الفكر الاسلامي، ص 32.

ب- عقيدة الغَيبة من السُّنة الشريفة:

لقد زخرت كُتب الحديث بهذه العقيدة نصوصًا وتعليقًا، و "لا يبعد القول: إنّه ما من مُحدث من مُحدثي الإسلام إلا وقد أخرج بعض الأحاديث المُبشرة بظهور المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف في آخر الزمان، وقد أفردوا كُتبًا كثيرة في الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف خاصة"[1]، وقد أورد العميدي في كتابه (المهدي المنتظر في الفكر الإسلامي)، أسماء من ذكروا أحاديث الإمام المهدي عليه السلام في كتبهم، وقد استقصاهم على حسب التسلسل الزمني في كتب العامة، أما من علماء الإمامية، فإنّ السيد العميدي يرى أنّ ذكرهم في هذا الموطن فيه ما (يُسمج) البحث، كون هذه العقيدة من البديهيات عندهم، ولهم بها إيمان مُطلق، فهي من أصول عقائدهم، كما يُورد أيضًا أسماء مجموعة من الصحابة الذين نقلوا أحاديث المهدي عليه السلام ويُورد طُرق هذه الأحاديث، ويذكر من صحّحها ومن جعلها من الأحاديث المُتواترة عند المسلمين. فهو بعمله هذا، يستقصي هذا الأمر من جوانبه كافة مما لا يترك مجالا للشك[2].

لعلّ هذا القدر من الأدلة على غَيبة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف كافٍ لإثبات هذه العقيدة، رغم أنّ البحث غير مُلزم بإثبات هذا الأمر، إلا أنّه من دواعي الإحاطة والشمول بفكرة إثبات غيبته وتستره عن الناس، كون هذا ما سيعرضه البحث في المطالب اللاحقة التي تختص ببيان علّة هذه الغَيبة، ومُقاربة الدور الذي يتحتَّم على المنتظرين القيام به مع قصة النبي موسى عليه السلام وغيبته عن بني إسرائيل التي ذُكرت في القرآن.

والخلاصة، فمُعظم الأديان والمذاهب تتّفق على الإيمان بعقيدة الغَيبة، إلا أنّ هذا الاتفاق له تفاصيله التي تختلف بين دين وآخر ومذهب وآخر أيضًا، وما يخصّ البحث هنا، هو عقيدة الغَيبة ومهام الانتظار عند الإمامية الذين يعتقدون أن المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف مولود عام (255هـ)، وقد غاب غيبتين (صُغرى وكُبرى)، وقد بدأت غَيبتُه الكبرى عام (329هـ).

كما وجدنا أنّ فكرة المُخلص قد اشتركت فيها معظم الثقافات القديمة والحديثة، وكانت

1 - العميدي، المهدي المنتظر في الفكر الاسلامي، ص. ص. 33-34.
2 - ينظر: العميدي، المهدي المنتظر في الفكر الاسلامي، ص. ص. 34-51.

جميعها تصبُّ في الإطار نفسه، أي إنّ مُعظم شعوب الأرض تنتظر مُخلِّصًا يأتي في آخر الزمان، يُحقق الله على يديه العدل والرخاء، بعدما تفشّى الظُّلم والجَوْر، ومن هذه العقائد والأفكار تنطلق شُعوب الأرض للبحث عن مُخلِّصها، كلٌّ بحسب ثقافته التي تربىَّ عليها وآمن بها.

ثالثًا: غيبة النّبي موسى عليه السلام عن بني إسرائيل مُقاربة مع غيبة الإمام المهدي المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف

تدورُ الأحداث ويُعيد التاريخ نفسه، وهذا ما يُخبر به رسول الله صلى الله عليه وآله، بأنّ أمته هذه ستتّبع الأمم السالفة في انحرافها عن الحقّ وطغيانها وعُتوِّها، حذو النعل بالنعل، والقَذة بالقذة[1]. وقد غاب مجموعة من الأنبياء عن أقوامهم لأغراض وغايات، ومنهم إدريس وصالح وإبراهيم ويوسف عليهم السلام، واضطرّ موسى عليه السلام إلى الهرب خوفًا من بطش الفراعنة[2]، قال تعالى: ﴿**فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ**﴾[الشعراء:21].

وفي قصة موسى عليه السلام – كما ذكرها القرآن- الكثير من المحطات التي تُشير إلى السّتر والغيبة والاختفاء، فقد اضطرت أمه لإخفاء ولادته، ثم لمّا كبرُ فرّ من فرعون ومَلئِه، وغاب عن وطنه، ولم يعرف أحد مكانه حتى بعثه لله نبيًّا لبني اسرائيل، وهذا يُشبه – كما يرى الشيخ المفيد - قول الإمامية - " في التأكيد على اسْتتار صاحب الأمر(المهدي) وغيبته ومقامه رغم طول المُدة، فهذا أقرب إلى العقول والعادات ممّا أوردنا من الأخبار المذكورة في القرآن"[3].

وقد تميّزت قصّة سيدنا موسى عليه السلام [4]عن باقي قصص الأنبياء في القرآن بكونها الأكثر حكاية، وهذا الأمر يجعلنا نقف عندها كثيراً، ونتفكر في الحكمة من التفاصيل الواردة فيها،

1 - ينظر: المجلسي، البحار، ج13، ص 70.

2 - ينظر: الدخيل، الإمام المهدي من الولادة إلى الظهور، ص169.

3 - ينظر: المفيد، الفصول العشرة في الغيبة، الصفحات: 58 - 84 - 87.

4 - ذُكرت قصة موسى وبني إسرائيل في القرآن في سورة القصص بشكل مفصل، ولمن يريد الاطلاع أكثر، فليراجع: الفخر الرازي، التفسير الكبير: 227/24، والطبري، جامع البيان: 20 / 20 - 21، والطبري، تاريخ الامم والملوك: 385/1 - 434، والطبرسي، مجمع البيان: 240/4 - 241، وغيرها من التفاسير وكتب التاريخ.

ونتّخذ منها مثالا حيًّا نستظهر منه ما يتلائم مع قصص أئمتنا ﷺ. ففي مطلع سورة القصص عند قوله تعالى: ﴿**وَنُرِيدُ أَنْ نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ**﴾[القصص:5]، نجد أنّ السيد الطباطبائي يرى أنّ الآية واضحة بوعده -سبحانه وتعالى- للمؤمنين بالنصر والغلبة والتمكين في الأرض ويجعلهم الوارثين، وهذا الوعد جاء في ثنايا قصة موسى ﷺ مع فرعون[1]، وقد وردت روايات تُؤكد أنّ المقصود في هذه الآية هم الأئمة ﷺ، من هذه الروايات:

1. ما رواه الشيخ الصدوق في معاني الأخبار بسنده عن المفضل بن عمر قال: «سمعتُ أبا عبدالله ﷺ يقول: انَّ رسول الله ﷺ نظر إلى عليٍّ والحسن والحسين ﷺ فبكى وقال: أنتم المستضعفون بعدي، قال المفضَّل: فقلتُ له: ما معنى ذلك يا ابن رسول الله : قال معناه انَّكم الأئمة بعدي، انَّ الله عزَّ وجلَّ يقول:﴿**وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضعِفُوا فى الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئمّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَرِثِينَ**﴾ فهذه الآية جارية فينا إلى يوم القيامة»[2].

2. ومنها: ما رواه الشيخ الصدوق في الأمالي بسنده عن أبي الصادق قال: «قال لي عليٌّ ﷺ: هي لنا وفينا هذه الآية»[3].

3. ومنها: ما رواه الطوسي في الغَيبة بسنده «عن محمد بن الحسين عن أبيه علي بن الحسين ﷺ عن جدِّه عن عليٍّ ﷺ في قوله تعالى: ﴿**وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضعِفُوا فى الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئمّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَرِثِينَ**﴾، قال هم آل محمد يبعث اللهُ مهديَّهم بعد جَهدهم فيُعزِّهم، ويُذلّ عدوهم»[4].

4. ومنها: ما رواه فُرات الكوفي في تفسيره بسنده «عن ثوير بن أبي فاختة قال: قال لي

1 - الطباطبائي، تفسير الميزان، ج 16، ص 2.
2 - الشيخ الصدوق، معاني الأخبار، ص79.
3 - النيسابوري، روضة الواعظين، ص 158.
4 - الطوسي، كتاب الغيبة، ص 184 .

عليٌّ بن الحسين عليه السلام أتقرأ القرآن؟ قال: قلتُ: نعم قال عليه السلام: فاقرأ طسم سورة موسى وفرعون، قال: فقرأت أربع آيات من أول السورة إلى قوله: ﴿**وَنجْعَلَهُمْ أَئمّةً وَنجْعَلَهُمُ الْوَرِثِينَ**﴾، قال لي: مكانك حسبك، والذي بعث محمدًا(ص) بالحق بشيراً ونذيرًا إنَّ الأبرار من أهل البيت وشيعتهم كمنزلة موسى وشيعته»[1].

5. ورواه الشيخ الطبرسي في مجمع البيان، إلا انَّه قال: "إنَّ الأبرار من أهل البيت وشيعتهم بمنزلة موسى وشيعته، وانَّ عدوَّنا وأشياعهم بمنزلة فرعون وأشياعه"[2].

6. ومنها: ما رواه الكليني في الكافي بسنده «عن أبي الصباح الكناني قال: نظر أبو جعفر عليه السلام إلى أبي عبدالله عليه السلام يمشي فقال: ترى هذا؟ هذا من الذين قال الله عزَّ وجلَّ :﴿**وَنُرِيدُ أَن نّمُنّ عَلَى الّذِينَ استُضعِفُوا فى الأَرْضِ وَنجْعَلَهُمْ أَئمّةً وَنجْعَلَهُمُ الْوَرِثِينَ**﴾»[3].

وفي كتابه: (كمال الدين)، يروي الشيخ الصدوق بسنده عن سيد العابدين عن أبيه سيد الشهداء عن أبيه سيد الوصيين عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله، أنّ يوسف عليه السلام لما حضرته الوفاة جمع شيعته وأهل بيته وأخبرهم بشدة تنالهم، تُقتل فيها الرجال وتُشقّ بطون الحبالى، وتُذبح الأطفال، حتى يُظهر اللّه الحق في القائم من وُلد لاوي بن يعقوب وهو رجلٌ أسمر طويل[4].

فهنا نجد أنّ النبي صلى الله عليه وآله، يروي لنا قصّة النبي يوسف عليه السلام، وهو يَعِدُ بني إسرائيل بظهور مُخلِّص لهم، في قَابِل الأيام، وهُم تحت وطأة وظُلم فرعون ومَلئه. وما أشبه هذا الذي حصل لبَني إسرائيل مع نبيِّهم وما سيحصل للمُنتظرين من أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام وإمامهم، فقد جاء في الرواية الشريفة الواردة عن إمامنا علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام أنه قال: «في القائم منّا سُنّة من آدم وسُنّة من نوح، وسُنّة من إبراهيم، وسُنّة من موسى وسُنّة من عيسى، وسُنّة من أيوب، وسُنّة

1 - فرات الكوفي، تفسير فرات الكوفي، ص 314، وينظر: الطبرسي، مشكاة الأنوار، ص 173.
2 - الطبرسي، مجمع البيان، ج 7، ص 414.
3 - الطبرسي، مجمع البيان، ج 1، ص 306.
4 - الصدوق، كمال الدين وتمام النعمة، ج 1، ص 173.

من محمد(صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين)»[1].

وفي رواية أخرى، عن عبد الله بن سنـان عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «سمعته يقول: في القائم عليه السلام سُنّة من موسى بـن عمران عليه السلام فقلت ما هي سُنّته من موسى بن عمران؟ قال: خفاء مولده وغيبته عن قومه، فقُلت: كم غاب موسى بن عمران عن أهله ؟ قال ثمانية وعشرين سنة»[2]. وكذلك، ورد عن أبي بصير قال سمعت أبا جعفر يقول: «في صاحب هذا الأمر أربع سُنـن من أربع أنبياء: سُنّة من موسى، وسُنّة من عيسى، وسُنّة من يُوسف، وسُنّة من محمد (صلوات الله عليهم أجمعين)، فأما سُنّته من موسى فخائف يترقب، وأما سنته من عيسى فيُقال فيه مثل ما قيل في عيسى بن مريم عليهما السلام، حيث يقولون أنه مات ولم يمت، وأما سُنّته من يوسف فالسجن والغَيبة، وأما سُنّته من محمد صلى الله عليه وآله، فالسيف - أي القيام بالسيف -»[3].

من خلال هذه الروايات يتّضح لنا أن هنـاك علاقة وثيقة وشَبه واضح بين موسى بن عمران عليه السلام وبين المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، وأنّ للمهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف سُنـن من موسى، حيث إنّ الكثير من الأحداث والوقائـع التي جرت مع نبي الله موسى بن عمران عليه السلام ومرّت عليه وعلى قومه وأصحابه، فإنّها سوف تجري على القائـم من آل محمد صلى الله عليه وآله وعلى أصحابه، حذو النّعل بالنّعل، والقذة بالقذة، فقد عاش بنو إسرائيل الانتظار الذي يقول : "سوف يظهر من بينكم من يُقاوم السلطة، فينتصر ويفوز. وكان كلما مرَّ عليهم الزمن، اشتدوا انتظارًا، واستقربوا إنجاز الوعد الشيّق الحلو"[4].

بيد أنّ الانتظار طال عليهم، وهم قومٌ معروف عنهم العَجلة وقلّة الانتظار، فكادوا أنْ ينكصوا على الأعقاب، إلاّ أنّ الله أنجز لهم ما يعدون، فبرَدت قُلوبهم لفترة، واقْترب منهم نبيهم، وحاولوا أن يكون لهم عونًا ضدّ فرعون وأتباعه، فأساء بنو إسرائيل استعمال هذا التقرب، وحاولوا استغلال هذا الأمر، وأوقعوا نبيهم في دوامة الطلب، بعد قتله للقبطي وفضحوا أمره، ممّا اضطره للخروج من مصر والعيش في حالة من الغربة وانتظار الأمر الإلهي بالبعثة والتكليف.

1 - الطوسي، غيبة الطوسي، ص 60.
2 - الأمين، موسوعة أعيان الشيعة، ج، 2ص 58.
3 - الأصفهاني، مكيال المكارم، ج 1، ص 77.
4 - المدرسي، مع الرُّسل، ص78.

وقد طال أمر البعثة إلى حين عودة النبي موسى عليه السلام من أرض مدين، ومُروره بجبل سيناء، وهنا يأتي أمر الله : ﴿**اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى**﴾[طه: 43]، ويحصل ما يحصل بين موسى عليه السلام وفرعون، وقصة إيمان السحرة وخروج موسى عليه السلام مع بني إسرائيل من مصر.

ورغم كل ما فعله موسى عليه السلام معهم، وما رأوا من معجزاته، فبمُجرد أن غابهم عنهم أربعين ليلة، حتى عادوا إلى سيرتهم الأولى وعبدوا العجل، وتألّبوا على أخيه وخليفته فيهم، وكأنّ شيئًا لم يكن. هذا ما قدّمه البحث من قصة موسى عليه السلام مع قومه، لتكون لنا عبرة ومثلا نحتدي به، كي نأخذ الدروس منها، ونستلهم العِبر ونعيش الانتظار ونلتمس فوائده، وألاّ نفعل بإمامنا ما فعله بنو إسرائيل بنبيِّهم سابقًا.

رابعًا: عِلل الغَيبة وفوائد الانتظار

إنّ كل فرض يفرضه الله سبحانه على الإنسان، لا بدّ له من علّة ينتفع بها هذا العبد، ومكاسب تصبُّ في النهاية في مصلحته وتكون له منارًا، وتعود عليه بمنافع، يعلم بعضها ويجهل البعض الآخر.

لذلك، من الواجب علينا أن نبحث عن هذه العِلل حتّى يستعين بها العبد على نفسه، ومن هذه العِلل، العِلّة أو الحكمة من غيبة الإمام المنتظر، الذي أخّره الله -سبحانه- إلى آخر الزمان، فلو أمعنّا النّظر فيها، لخرجنا منها بمجموعة من العِلل، نذكر منها:

1. عند سؤال الشيخ المفيد(ت413هـ) عن علّة غيبة الإمام والمنفعة من معرفته وعدم الانتفاع به، أجاب إنّ "معرفتنا بوجوده وإمامته وعصمته وكماله نفع لنا في اكتساب الثواب، وانتظارنا لظهوره، عبادة نستدفع بها عظيم العِقاب، ونُؤدّي بها فرضًا ألزمناهُ ربُّنا المالك للرقاب" [5]. كما يعتقد أنّ استتاره عن الناس، ليس بأمرٍ خارج عن العُرف،

5 - المفيد، الرسالة الأولى في الغيبة، ص 13.

ولا مخالفًا للعادات، بل هذه سُنّة من سُنن الله التي أجراها على الأقوام السابقين[1].

2. يذهب السيّد المرتضى (ت436هـ) أنه "لا يجب علينا بيان السبب في غيبته على التعيين، بل يكفي في العِلم بحُسن الغَيبة منه، علمنا بعصمته، وأنه ممن لا يفعل قبيحًا، ولا يترك واجبًا" [2]، ويسرد مجموعة من العِلل التي يُستفاد منها في غَيبة الإمام أهمها:
   - استلهام الأولياء من وُجود الإمام ولو في غَيبته.
   - الغَيبة لا تمنع الإمام من التأثير والعمل.
   - لا فرق في الاستلهام من وُجود الأئمة بين الغَيبة والحضور.
   - ظُهوره لأوليائه ليس بواجب.
   - إمكان استخلاف الإمام لغيره في الغَيبة والظُّهور.

وبالتّالي، فهو يرى أنّ "العِلة في استتار الإمام في غَيبته عن أوليائه غير العِلّة في استتاره من أعدائه، وهي خوفه من الظهور لهم، لئلاّ ينشروا خبره ويجروا ذكره، فيسمع به الأعداء ويظهروا عليه، فيؤُول الأمر إلى الغاية الموجبة للاستتار من أعدائه" [3].

3. أما العِلّة في غَيبة الإمام واحتجابه عن الناس، عند الشيخ الطوسي (ت460هـ)، فهي تنحصر في خوفه على نفسه من القتل ويُعلِّل هذا بقوله: "لأنه لو كان غير ذلك لما ساغ له الاستتار، وكان يتحمّل المشاق والأذى، فإنّ منازل الأئمةعليهم السلام، إنما تَعْظُم لتحمُّلهم المشاق العظيمة في ذات الله -تعالى-"[4].

4. يرى الخواجة نصير الدين الطوسي (ت 672هـ)، أنّ سبب أو علة حرمان الخلق من حضور إمام الزمانعجل الله فرجه الشريف هو: "ليس من الله -تعالى-، لأنه يُخالف مقتضى حكمته، ولا

1 - ينظر : المفيد، الفصول العشرة في الغيبة، 53.
2 - المرتضى، المُقنعُ في الغيبة، 135.
3 - المرتضى، المقنع في الغيبة، ص 158.
4 - الطوسي، كتاب الغيبة، ص 329.

من الإمام لثبوت عصمته، فيكون من رعيته، وما لم يُزل سبب الغيبة لم يظهر، والحُجة بعد إزالة العلّة وكشف الحقيقة لله تعالى على الخلق والاستعباد في طول عُمره بعد ثبوت إمكانه ووُقوعه في غيره جهل محض"[1]، يُعلّق الخواجة هنا، علّة الغَيبة في رِقاب الناس، فهُم عنده سبب استتار الإمام واحتجابه عن أنصاره ومُحبّيه، فهُم يتحمّلون المسؤولية عن غيبته، وبيدهم تعجيل ظهوره.

5. يذهب السيد الشهرستاني إلى أنّ الفلسفة من غيبته هي "من الحوادث التي تكون بتدبير من الله عزّ وجل وإنشائه، فلا بدّ أن تكون جارية على وفق المصلحة والحكمة، سواء أدركنا تلك الحكمة أم لا، عرفنا ذلك السّبب أو جهلناه"[2]، ويحتمل السيد القزويني أن يكون سبب الغَيبة هو أحد أمرين هما:

- إما خوفًا من أعدائه ومُعانديه الذين يتربّصون به، فالتجأ إلى الغَيبة والاستتار.
- أو أنّ هذا الأمر هو اختبارًا للناس، والذي هو من سُنن الله في الأرض، فقد امتحنت أُمم سابقة بغَيبة أنبيائهم، فتكون غيبة المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف على نحو تلك الامتحانات، لتُبيّن الرُّشد من الغي، وتمُيّز المؤمن من المُنافق، فهذه الغَيبة من أعظم الامتحانات لشيعته وللمسلمين[3].

6. ويرى الشيخ بشير النجفي، أنّ الانتظار هو واجب بحُكم العقل والشرع، فمن جانب العقل فالتوقع والانتظار لدولة الحقّ، يُحتّم علينا الانتظار والعمل، أما الجانب الشرعي فقد جاء في روايات تكاد تصل حدّ التواتر، وهذا ما يجعل الأمر حتمًا على المُتعبّد، كما وأنّ الانتظار لشيءٌ مهم يدفع الإنسان للتهيؤ والإعداد والاستعداد، لما يتوقّعه وينتظره لغرض إقامة دولة الحق على أنقاض الظلم والفساد والجور، فالانتظار يشتمل على عمل للصالحين، وتحذير للظالمين وبثٍّ روح التضحية والفداء للمُخلصين، والدعوة

1 - نصير الدين الطوسي، فصول الخواجة الطوسي، نقله محمد رضا حكيمي في كتابه "الإمام المهدي في كتب الأُمم السابقة وعند المسلمين"، ص. ص. 203-204.

2 - الشهرستاني، المهدي الموعود ودفع الشبهات عنه، ص. ص. 27-28.

3 - الشهرستاني، ص 29 وما بعدها.

إلى الحقّ للضالين والهداية للمنحرفين وإلزام المُخلصين بالإعداد والاستعداد لذلك اليوم العظيم[1].

7. فيما يذهب السيد علي السبزواري[2] إلى أنّ الانتظار له أثرٌ في النفوس يُخرجها من الإحباط ويبعث فيها الأمل، فهو عملية تربوية هادفة، يحصل فيها ترابط بين المؤمنين والمهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، فالانتظار ليس مجرد طقوس، بل عمل ورؤية وتربية وموقف، يتّخذه المؤمن ليكون مُستعدًا لتلقّي الفيض الإلهي بظهوره الشريف[3].

8. يُسمِّي السيد منير الخباز[4] عِلل الغَيبة بالآثار الروحية المترتبة عليها، ويحدّدها في نقاط ثلاثة نجملها بالآتي:
   - إنّ شعور الأمة بالتقصير يدفع لإعداد الأرضية لخروج الإمام.
   - الاستعداد للقاء الإمام المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف.
   - تقوية العلاقة القلبية بيننا وبين الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف[5].

9. يُجيب أحد الباحثين عن فائدة الانتفاع بالإمام وهو غائب مُتوارٍ عن الأنظار وما فلسفة هذه الغَيبة للمنتظرين، بأن هذه الأمر يجعل الانسان المنتظر يبتعد عن الظُّلم والجَوْر، ويجب أن يكون على حالة من الاستقامة خوفًا من قيام القائم في أيّ لحظة، فيكون المؤمن من أنصاره. كذلك يجب أن يكون المُؤمن بالانتظار، في حالة طوارئ دائمة، ومتهيأ للانضمام لجيش الإمام. وكذلك، فهذه الغيبة تُحفّز المؤمن للنهوض بمسؤولياته، خاصة في مجال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فالأمة التي تعيش

1 - ينظر: مجلة الانتظار، موضوع بعنوان : لماذا الانتظار؟ لقاء مع المرجع الديني الشيخ بشير النجفي (حفظه الله).

2 - هو حجة الاسلام والمسلمين السيد علي السبزواري، نجل المرجع الراحل السيد عبد الأعلى السبزواري.

3 - (53) ينظر : مجلة الانتظار، لقاء مع سماحة حجة الإسلام والمسلمين السيد علي السبزواري (حفظه الله).

4 - حُجة الإسلام والمسلمين باحث في الحوزة الدينية في النجف الأشرف.

5 - ينظر: مجلة الانتظار، موضوع بعنوان : الغيبة وانسجامها مع الغرض الإلهي والآثار المترتبة عليها، السيد منير الخباز.

حالة الاعتقاد بالمهدي الحي الموجود، تبقى تعيش حالة من الشعور والعزة والكرامة، ولا تنحني لغير الله مهما تجبّر الطُّغاة[1].

10. يذهب باحث آخر، إلى أنّ فلسفة الغَيبة تكمن في تهيئة "الظروف والشروط المناسبة لعملية النُّضوج والتكامل العقلي والإيماني، وبالتالي، بناء الأمة الصالحة المخلصة التي سوف تكون البذرة في تغيير مسيرة البشرية إلى مستوى أرقى مما كانت عليه، ومتى ما تحقّقت هذه الشروط سوف يتحقّق الظهور المبارك بإذن الله تعالى"[2]. فهنا نجد أنّ هذا الباحث يربط عِلّة الغَيبة بعلّة بناء الإنسان الكامل، الذي أراد الله – سبحانه - له أن يسعى لبناء ذاته وتربيتها وتنشئتها، حتى تتحمل أعباء التكاليف التي أوكلت لها ساعة نزولها الى الأرض.

يبقى هناك فوائد كثيرة من الغَيبة، ذكرها البحث أو لم يذكرها عرفها الانسان وتوصّل اليها أم لا، إلا أنّ البحث يكتفي بهذا القدر منها، تجنبًا للإطالة والملل، ليبقى الموضوع شيِّقًا للقارىء سهلا عليه، يأخذ منه ما يرغب فيه، ويُمتّع النظر بالتطلُّع فيه، عسى الله أن يُوفقنا فيما نرغب إليه ونصبوا.

الخاتمة

اعتاد الباحثون أن يضعوا خلاصة أفكارهم وعصارة نتاجهم في خاتمة أعمالهم، وهذا ما ستُحاول الدراسة السَّير عليه، وعدم الخروج عنه، فقد قامت الدراسة في المطالب المتقدمة، ببيان عقيدة الغَيبة وتشكُّلاتها في الفكر الديني القديم والحديث، وكذلك في الفكر الإسلامي، وقد وجدْتُ أنّ المذهب الامامي الاثنا عشري هو الأكثر وضوحًا وتمييزًا لهذا المُعتقد. وقد

1 - ينظر: العميدي، المهدي المنتظر في الفكر الاسلامي، ص 186 وما بعدها.
2 - هاشم، النظرية المهدوية: دراسة في واقعها العقلي والروائي، ص 319.

أصبحت عقيدة الغَيبة من مرتكزاته الأساسية، إلا أنّ العنوان الذي اختطته الدراسة لنفسها يلزمها بمقاربة فكرة الغَيبة، أو بصورة أوضح عقيدة الغَيبة وعِلَلها وفلسفتها مع قصة النبي موسى عليه السلام وبني إسرائيل التي ورد ذكرها في القرآن الكريم، والتي كانت مشابهة ومقاربة إلى حدٍّ كبير لغَيبة الإمام الثاني عشر عجل الله فرجه الشريف عند الشيعة الإمامية، رغم أنّ هذا التشابه والتقارب قد فرض مجموعة من العِلل تنسحب عليها فلسفات خاصة تفرض نفسها ووجودها وترتبط مع هذه العِلل.

وعند التأمل في العِلّة الأساسية من الغَيبة، والتي يذهب إليها أغلب من تعرّض لهذه العقيدة، فهي: "حمايةُ شخص المعصوم من القتل أو الأذى"، وسنجد أنّ الفلسفة التي وراء هذه العِلّة أو الغَيبة التي فُرضت على المعصوم، سواء كانت طويلة أم قصيرة فإنّنا سنجدها لحماية شخص المعصوم وإطالة عمره الشريف، لغرض الإفادة من مجهوداته وإطالة بقائه بين الناس، أو لحفظه للظهور في زمان مُعيّن ومكان مُحدّد. ويبدو للدراسة أن هذه العلة هي العلة الأساسية للغَيبة، وباقي العِلل التي افترضها الدارسون، تنجرُّ خَلْف هذه العلة وتنساق معها، وهذا ما حصل فعلا لموسى عليه السلام مع بني إسرائيل، وما يحصل لإمامنا الغائب عجل الله فرجه الشريف.

ومن العلل الأخرى للغيبة، "اختبار المُنتظرين وتمحيصهم حتى يتبيَّن المؤمن من المنافق، والبر من الفاجر"، فهذه العِلة تخص المنتظرين، ولا تخصُّ المعصوم بوجه التحديد، وعند مُقاربة هذه العِلّة مع قصة بني إسرائيل والتأمل في فلسفتها، فإنّنا سنجد أن هناك بونًا شاسعًا بين طبيعة المنتظرين والنتائج التي خرجت بها هذه العِلّة، فبني إسرائيل بمجرد أن غاب عنهم نبيَّهم أربعين ليلة انحرفوا وعبدوا العجل من دون الله، قال -تعالى-: ﴿**إِذْ وَاعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ**﴾[البقرة: 51]، بينما نجد أتباع الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف قد تحمَّلوا شتّى أنواع العذاب والألم، ومضت عليهم دهور طويلة وهم ينتظرونه، وقد تحمّلوا جَوْر الحكام والطواغيت، الذين أرادوا حرفهم عن هدفهم الأسمى، فما كان من المنتظرين إلا أن ثبتوا أمام هذا الظلم، حتى كانوا مصداقًا لقوله -تعالى-:﴿**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ**﴾[آل عمران: 110]. ولكن يشاء الله أن يطول انتظارهم فيزيد في عُمر قائم آل محمد عليه السلام حتى تملأ الأرض ظلمًا وجَوْرًا، ويتحقّق له بعد ذلك وعلى يديه دولة العدل الإلهي التي يملؤُها قسطًا وعدلا.

كما وأنّ من العِلل الأخرى التي وجدتها الدراسة للغيبة، "الوكالة أو التفويض" فإنّ النّبي موسى عليه السلام عندما ذهب لميقات ربه، لم يترك بني إسرائيل اعتباطًا، إنمّا فوّض أمرهم إلى أخيه (هارون)، وقد كان هارون نبيًّا أيضًا، اعتمد عليه موسى عليه السلام في رعاية قومه وتوجيههم في غيبته عنهم، إلا أنهم خالفوا نبيهم واتّبعوا أرذلهم، وعصوا أمر نبيهم وخليفته فيهم. وأمر الوكالة أو التفويض نجده أيضًا عند إمامنا المهدي المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف الذي لم يترك شيعته هكذا دون مُرشد أو مُوجّه لهم، فقد صدر توقيع شريف له من الناحية المُقدسة، نقله السفير الثاني محمد بن عثمان العمري (ت304 أو 305هـ)، ينصُّ على الرجوع إلى العلماء الثقات من شيعته وهذا نصه: "وأمّا الحوادثُ الواقعةُ، فارجعُوا فيهَا إلى رُواةِ حديثِنَا ، فإنّهُم حُجّتِي عليكُم وأنا حُجّةُ الله"[1]. وأمَّا المقصودُ برُواةِ الحديثِ الواردِ ذكرُهُم في مَتنِ الحديثِ، فهمِ العُلماءِ والفُقهاءِ الذينَ يَستنبطونَ الأحكامَ مِن أحاديثِهم(عليهم السلام)، وليسَ مُطلقَ الرّواةِ ، قالَ المُحقّقُ النّراقيُّ في "مُستند الشّيعة" : "الظّاهرُ المُتبادَرُ منهُ: الرّاوي للحديثِ، المُستنبِطُ المُستخرِجُ منهُ الأحكامَ على الطّريقِ الذي ارتضاهُ الشّارعُ وأمرَ بهِ، لا مُطلقاً"[2].

ناهيك عن العِلل "التربوية والنفسية والأخلاقية" الأخرى التي حملتها الغيبة في طيّاتها، والتي تقود الإنسان إلى التكامل الذاتي، وعودًا على ذي بدء، وبالنظر إلى العِلل السابقة ومقاربتها مع ما حصل مع بني إسرائيل، فقد آتى الانتظار ثماره عند المسلمين، وحقّق أهدافه المرجوة رغم طول الانتظار، فقد استلهموا الدروس والعبر منه، وساروا على المنهج الذي اختطه لهم إمام زمانهم عجل الله تعالى فرجه الشريف، من حيث اتّباع نُوابه في زمان غيبته، حتى يحقق الله مراده وغايته التي لم ينكشف منها إلا الشيء القليل، عسى الله أن يمُتّع أنظارنا بطلعة إمام زماننا عجل الله تعالى فرجه الشريف، وأن نكون في ركبه ومن أعوانه وأنصاره والمستشهدين بين يديه، قال -تعالى-: ﴿**فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا * إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا * وَنَرَاهُ قَرِيبًا**﴾[المعارج: 5-6-7] ، والحمد لله ربِّ العالمين.

1 - الصدوق، كمال الدين وتمام النعمة، ج4، ص 483، والطبرسي، الاحتجاج، ج 2 ص. ص.281 - 284، والحر العاملي، وسائل الشيعة، ج 27، ص 140.

2 - النراقي، مُستندُ الشّيعةِ، ج17، ص25.

المصادر والمراجع

■ ابن كثير، أبو الفداء اسماعيل بن عمر(ت774هـ)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق سامي بن محمد سلامة، الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2 - 1420هـ - 1999م.

■ أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى(ت ٩٨٢هـ)، تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، الرياض: مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، (د . ت).

■ أبو حيان الأندلسي ، محمد بن يوسف(745هـ)، تفسير البحر المحيط، دراسة وتحقيق وتعليق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1 - 1413هـ ـ 1993م.

■ الأصفهاني، محمد تقي الموسوي، مكيال المكارم في فوائد الدعاء للقائم (عج)، قم المقدسة: مؤسسة الامام المهدي (عج)، قم المقدسة، ط-1 1422هـ .

■ الأمين، السيد محسن، موسوعة أعيان الشيعة، تحقيق حسن الامين، بيروت: دار التعارف للمطبوعات، ط- 1403هـ - 1983م.

■ البغوي، محمد الحسين بن مسعود (ت516هـ)، تفسير البغوي "معالم التنزيل"، بيروت: دار ابن حزم، ط1 - 1423هـ - 2002م.

■ جولدتسيهر، إيجناس، العقيدة والشريعة في الإسلام تاريخ التطور العقّدي والتشريعي في الدين الإسلامي، ترجمة محمد يوسف موسى وعلي حسن عبد القادر وعبد العزيز عبد الحق، القاهرة: المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط- 2013م.

■ الحر العاملي، محمد بن الحسن (1104هـ)، تفصيل وسائل الشيعة، قم المشرفة: تحقيق

ونشر مؤسسة آل البيت(عليهم السلام) لإحياء التراث ، ط2 - 1414هـ.

■ حسن، سعد محمد، المهدية في الاسلام (منذ أقدم العصور حتى اليوم دراسة في التاريخ العقدي والسياسي والأدبي)، مصر: دار الكتاب العربي، مصر، ط1 - 1373هـ - 1953م.

■ حكيمي، محمد رضا، الإمام المهدي في كتب الأُمم السابقة وعند المسلمين، ترجمة حيدر آل حيدر، بيروت: الدار الاسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، ط1 - 1423هـ - 2003م.

■ الدخيل، علي محمد علي، الإمام المهدي من الولادة إلى الظهور، بيروت: دار المرتضى، ط1 - 1422هـ - 2002م.

■ الرازي، محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التميمي البكري فخر الدين(ت606هـ)، التفسير الكبير، بيروت: دار الفكر، ط1 - 1401هـ - 1981م.

■ الزمخشري، أبي القاسم جار الله(538هـ)، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، اعتنى به وخرّج أحاديثه وعلق عليه خليل مأمون شيحا، بيروت: دار المعرفة، ط3 - 1430هـ - 2010م.

■ زين الدين، محمد أمين، مع الدكتور احمد أمين في حديث المهدي والمهدوية، بيروت: مؤسسة النعمان للطباعة والنشر والتوزيع، ط- 1413هـ - 1992م.

■ سيساوي، نبيل، نبوّة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) في الدراسات الحداثية للدين، أطروحة دكتوراه، جامعة الحاج لخضر – باتنة/1، كلية العلوم الإسلامية – قسم أصول الدين، الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، لسنة 1440هـ - 2019م.

■ الشهرستاني، السيد عبد الرضا، المهدي الموعود ودفع الشبهات عنه، (دون دار نشر)، ط- 1398هـ.

■ الصدر، محمد باقر، بحث حول المهدي، بيروت: دار التعارف للمطبوعات، ط- 1397هـ - 1977م.

■ الصدوق، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه (ت381هـ)، كمال الدين وتمام النعمة، تحقيق علي أكبر غفاري، قم المشرفة: مؤسسة النشر الإسلامي، ط5 - 1429هـ.

■ الصدوق، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه(381هـ)، معاني الأخبار، عُنيَّ بتصحيحه علي اكبر الغفاري، بيروت: دار المعرفة، ط- 1399هـ - 1979م.

■ طالب الطبرسي، أبو منصور أحمد بن علي بن أبي(ت558هـ)، الاحتجاج، قم المشرفة: انتشارات الشريف الرضي، ط1 - 1380هـ .

■ الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، قم المشرفة: مؤسسة دار المجتبى للمطبوعات، ط1 - 1430هـ - 2009م.

■ الطبرسي، أبو الفضل علي بن الحسن(ت548هـ)، مجمع البيان في تفسير القرآن، تحقيق السيد هاشم الرسولي المحلاتي والسيد فضل الله اليزدي الطباطبائي، بيروت: دار المعرفة، ط2 - 1408هـ - 1988م.

■ الطبرسي، أبو الفضل علي بن الحسن(ت548هـ)، مشكاة الأنوار، قُم المشرفة: دار الكتب الاسلامية، ط2 - 1385هـ - 1965م.

■ الطبري، محمد بن جرير (ت310هـ)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق عبد الله عبد المحسن التركي، القاهرة: هجر للطباعة والنشر، القاهرة، ط1 - 1422هـ - 2001م.

■ الطغرائي، ديوان الطغرائي، تحقيق علي جواد طاهر ويحيى الجبوري، الدوحة: مطابع الدوحة الحديثة، ط2 - 1406هـ - 1986م.

■ الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن(460هـ)، كتاب الغَيبة، تحقيق الشيخ عباد الله الطهراني والشيخ علي أحمد ناصح، قم المشرفة: مؤسسة المعارف الاسلامية، ايران – قم، ط3 - 1425هـ.

■ الطوسي، نصير الدين (672هـ)، فصول الخواجة الطوسي، تحقيق حميد الخالصي، مطبعة

المعارف، ط- 1960م.

■ العاملي، جعفر مرتضى، براءة آدم حقيقة قرآنية، بيروت: المركز الإسلامي للدراسات، ط3 - 1436هـ - 2015م .

■ العميدي، ثامر هاشم، المهدي المنتظر في الفكر الاسلامي، ط/2، ستارة- قُم المشرفة: مركز الرسالة، ط2 - 1425هـ.

■ فرات الكوفي، أبو القاسم فرات بن إبراهيم، تفسير فرات الكوفي، تحقيق محمد الكاظم، طهران: مؤسسة الطباعة والنشر، ط2 - 1416هـ - 1995م.

■ القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد ابن أبي بكر(671هـ)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق الدكتور عبد الله عبد المحسن التركي، بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ط1 - 1427هـ - 2006م.

■ المجلسي، محمد باقر(ت1111هـ)، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، تحقيق مؤسسة إحياء الكتب الإسلامية، (د . ط)، قم المقدسة: نور وحي، ط- 1388هـ ش – 1430هـ ق.

■ المدرسي، السيد محمد تقي، مع الرُّسل، بيروت: دار طريق الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، ط3 - 1444هـ - 2023م.

■ المرتضى، أبو القاسم علي بن الحسين(ت436هـ)، المُقنعُ في الغَيبة، تحقيق محمد علي الحكيم، بيروت: مؤسسة آل البيت "عليهم السلام" لإحياء التراث، ط- 1419هـ - 1998م.

■ المرعشي النجفي، آية الله العظمى السيد شهاب الدين، مُلحقات إحقاق الحق، ط/1، قم المقدسة: مطبعة حافظ، ط1 - 1415هـ.

■ المفيد، محمد بن علي بن النعمان(413هـ)، الرسالة الأولى في الغَيبة، تحقيق علاء آل جعفر، المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد، ط1 - 1413هـ.

■ المفيد، محمد بن علي بن النعمان(413هـ)، الفصول العشرة في الغَيبة، تحقيق الشيخ فارس الحسون، المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد، ط1 - 1413هـ.

■ النراقي، أحمد بن محمد مهدي(1245هـ)، مُستندُ الشّيعةِ في أحكام الشريعة، بيروت: تحقيق ونشر، مؤسسة آل البيت(عليهم السلام) لإحياء التراث، ط1 - 1429هـ - 2008م.

■ النيسابوري، أبو علي محمد بن الفتال(508هـ)، روضة الواعظين، قم المقدسة: انتشارات الشريف المرتضى، ط-1 1368هـ.

■ هاشم، يحيى عبد الحسن، النظرية المهدوية (دراسة في واقعها العقلي والروائي)، كربلاء-العراق: مؤسسة الدليل للدراسات والبحوث الفكرية، ط1 - 2023م.

■ الهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر(ت807هـ)، موارد الظمآن الى زوائد ابن حبّان، تحقيق حسين سليم أسد وعبده علي الكوشك، دمشق: دار الثقافة العربية، ط1-1411هـ - 1990م.

المجلات والدوريات

■ مجلة الانتظار، العدد الأول – جمادى الأولى /1426هـ .

■ مجلة الانتظار، العدد الرابع عشر – رجب /1429هـ.

■ مجلة الفكر الإسلامي، العددان (18-19) السنة الخامسة – ربيع الثاني – رمضان 1418هـ.